قصص الأنبياء

شعيب عليه السلام

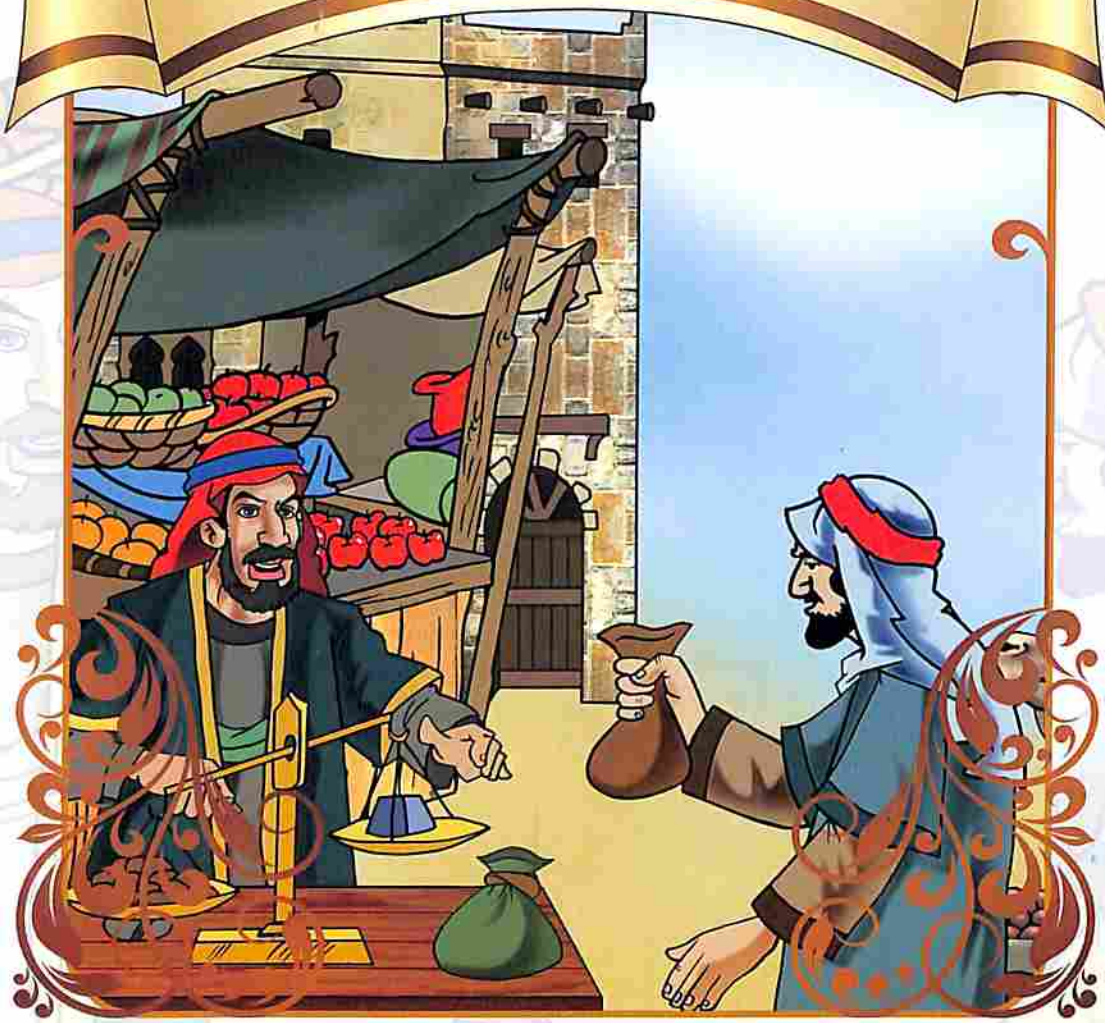

رسوم

عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

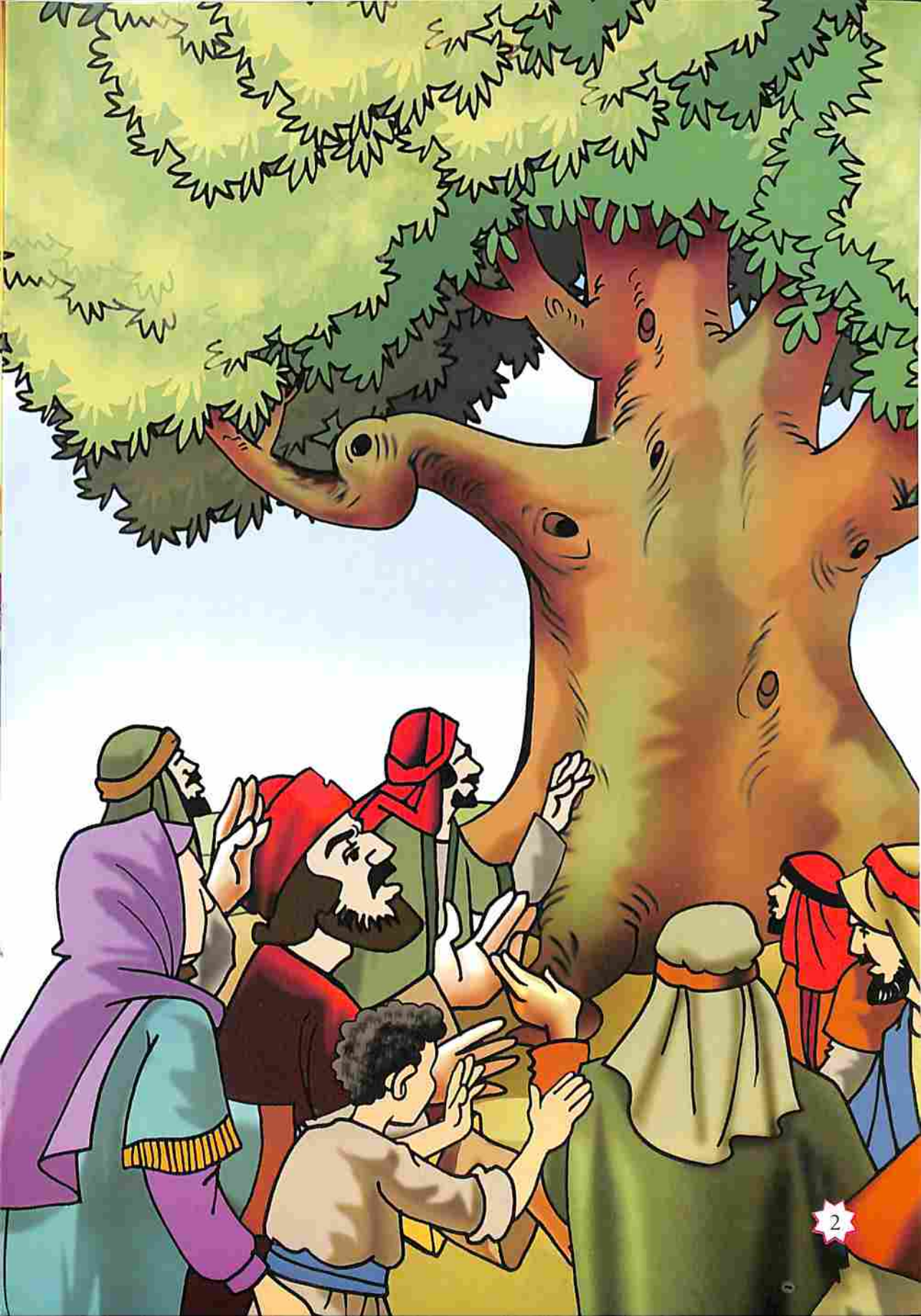

شعيب (عليه السلام)

مَدْيَنُ قَبيلةٌ عَرَبِيَّةٌ سَكَنَتْ بِلادَ الشَّام بالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ سَدوم الَّتِي سَكَنَهَا قَوْمُ لُوطٍ الكَافِرِينَ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكَهُم اللهُ.

كَانَ أَهْلُ مَدْيَنَ كفَّارًا ، يَعبُدُونَ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَشْجَارِ الكَبِيرَةِ ، وَكَانُوا يَقطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى المُسَافِرِينَ وَيَقتُلُونَهُم وَيَأخُذُونَ أَشْيَاءَهُم، وَكَانُوا مِنْ أَسْوَأِ النَّاسِ مُعَامَلَةً ، إِذَا بَاعُوا بَاعُوا بِالنَّاقِصِ وَالأَقَلّ، وَإِذَا اشْتَرَوا اشْتَرَوا بِالزِّائِدِ وَالأَكْثَرِ.

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَكُونَ فِي سَمَاءِ القَوْمِ المُظْلِمَةِ نَجْمٌ يُنِيرُ طَرِيقَهُم، فَكَانَ شُعَيْبٌ (عليه السلام) رَجُلاً مُؤمِنًا عَادِلًا، وَيَعرِفُ مَا فِي قَومِهِ مِنْ ضَلالٍ وَظُلْم.

عَرَفَ شُعَيْبٌ (عليه السلام) اللهَ وَأَحَبَّهُ وَعَبَدَه، وَأَحبَّهُ اللهُ - عز وجل - وَأَرْسَلَهُ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِ مَدْيَن.

أَطَاعَ شُعَيْب (عليه السلام) أَمْرَ اللهِ وَدَعَا قَومَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه ، وَإِقَامَةِ العَدْلِ ، وَتَركِ الظُلم ..

وَقَالَ لَهُم : {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (الأعراف : ٨٥).

سَأَلَهُ بَعضُهُم : وَمَاذَا لَو لَم نَعبُدَ اللهَ، وَلَم نُؤمِنْ بِهِ؟

أَجَابَ شُعَيْبٌ (عليه السلام) : تَنَالُونَ غَضَبَهُ فِي الدُّنيَا، وَعَذَابَهُ فِي الآخِرَةِ.

سَأَلَ آخَرُ: بِمَاذَا يَأْمُرُ إِلَهُكَ يَا شُعَيْبُ ، وَعَنْ أَيِّ شَيءٍ يَنهَى ؟

أَجَابَ شُعَيْب (عليه السلام) : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ، وَيَنْهَى عَنِ الظُلْمِ، و يَأمُرُكُم بِالعَدْلِ فِي البَيعِ وَالشِّرَاء، وَلا تُنقِصُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ وَتَأكُلُوا حُقُوقَ النَّاسِ بِحُجَّةِ أَنَّهَا تِجَارَة، وَلا..

صَاحَ القَومُ مُقَاطِعِينَ: لا لا.. هَذِهِ تِجَارَةٌ، وَهَذِهِ قَوَانِينُ وَرِثنَاهَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَنْ نُغَيِّرَهَا.

وَصَاحَ آخَرُون: لا بُدَّ أَنَّكَ قَدْ جُنِنتَ أَو أَصَابَكَ شَيءٌ مِنَ السِّحْرِ، أَتُرِيدُ أَنْ تُفْقِدَنَا زَعَامَتَنا؟! وَانصَرَفُوا عَنه.

وَجَدَ الفُقَرَاءُ وَالمَسَاكِينُ أَنَّ دَعوَةَ شُعَيْب (عليه السلام) تَقِفُ بِجَانِبِهِم ضِدَّ الظُلْم، فَآمَنُوا بِاللهِ ، وَعَبَدُوهُ مَعَ نَبِيِّهِم شُعَيْب (عليه السلام).

مَرَّت سَنَوَاتٌ وَشُعَيْبٌ (عليه السلام) يُوَاصِلُ دَعْوَتَه، لَمْ يَيئَسْ مِنْ جَفَاءِ قَومِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُم: يَا قَوْم، اتَّقُوا اللهَ وَخَافُوه، وَاذْكُرُوا نِعَمَهُ عَلَيْكم، وَتَذَكَّرُوا مَاذَا حَدَثَ لِقَوْمِ لُوطٍ عِندَمَا كَفَرُوا بِرَبِّهِم، وَكَذَّبُوا نَبِيَّهم لُوطًا (عليه السلام) ، يَا قَوم ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ اللهِ وَغَضَبَه.

وَظَلَّ القَومُ عَلَى مَا هُم فِيهِ مِنْ كُفرٍ وَجُحُود، وَاجتَمَعُوا لِيَبحَثُوا أَمْرَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الَّتِي تُهَدِّدُ مَكَانَتَهُم وَزَعَامَتَهُم، وَقَفَ أَحدُهُم وَسَأَلَ: مَا العَمَلُ فِي شُعَيْبٍ هَذَا؟ إِنَّه مَا زَالَ مُصِرًّا عَلَى دَعْوَتِهِ.

أَجَابَ أَحَدُهُم : لا تَأْبَهْ لِهَذَا الأَمْرِ، فَلَا يُؤمِنْ بِهِ سِوَى الضُّعَفَاءِ، وَهَؤُلاءِ لا يُسَاوُونَ شَيئًا.

وَقَالَ آخَر: وَلَكِنَّنَا نُرِيدُ أَنْ نُنْهِيَ هَذَا المَوْضُوعَ، وَبَعْدَ فَتْرَةِ تَفْكِيرٍ قَالَ أَحَدُهُم: نَقْتُلُهُ هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَبِذَلِكَ نَهْدَأُ وَنَرْتَاحُ مِنْ هَذَا المَوْضُوعِ.

اعْتَرَضَ كَبِيرُ القَوْمِ : لا، القَتْلُ لا ؛ لا تَنْسَوا أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ ، ابْحَثُوا عَنْ حَلٍّ آخَرَ.

ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى إخْرَاجِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ القَرْيَةِ إنْ لَمْ يَعُودُوا إلَى دِيَانَتِهِم.

ذَهَبَ سَادَةُ القَوْم إلَى شُعَيْب (عليه السلام) وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ وَقَالُوا لَهُم: اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا شُعَيْب وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ وَاحِدَةً مِنَ اثْنَتَيْنِ : إمَّا أَنْ تَخْرُجُوا جَمِيعًا مِنْ قَرْيَتِنَا وَلا تَعُودُوا أَبَدًا ، أَو أَنْ تَعُودُوا إلَى دِيَانَتِنَا وَطَرِيقَتِنَا فِي الحَيَاةِ.

وَقَبْلَ أَنْ يُجِيبَ شُعَيْبٌ (عليه السلام) أَكْمَلَ أَحَدُهُم: يَا شُعَيْب، إنَّا نَسْتَطِيعُ قَتْلَكَ، وَلَكِنَّنَا لا نُرِيدُ حَرْبًا مَعَ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ.

أَجَابَ شُعَيْب (عليه السلام) : أَتُجْبِرُونَنَا عَلَى الخُرُوج؟ لا وَاللهِ لَنْ نَخْرُجَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَينَكُم، وَلَنْ يَعُودَ هَؤُلاءِ إلَى دِيَانَتِكُم البَاطِلَةَ بَعْدَ أَن نَجَّاهُم اللهُ مِنهَا. يَا قَوم، أَلا تَعْقِلُون؟!

أَتَخَافُونَ مِنْ أَهْلِي وَلا تَخَافُونَ مِنَ اللهِ ؟!

لَمْ يَلْتَفِتِ الكَافِرُونَ إِلَى قَوْلِ شُعَيْبٍ (عليه السلام)، وَإِنَّمَا خَاطَبُوا مَنْ كَانَ مَعَهُ بِقَوْلِهِم: ابْتَعِدُوا عَنْ شُعَيْبٍ وَلا تَتَّبِعُوهُ فَتَخْسَرُوا...

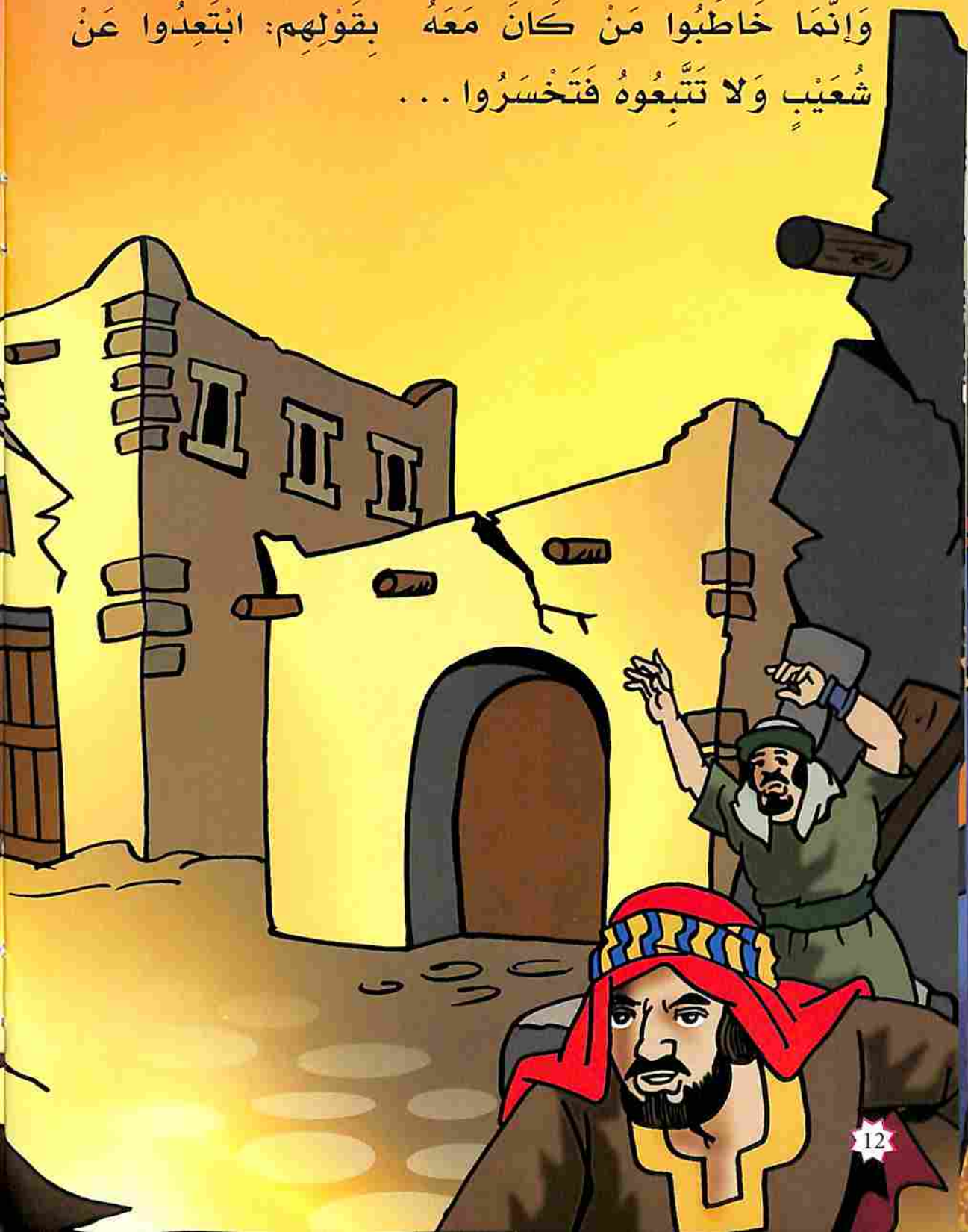

فَرَدَّ عَلَيْهِمُ المُؤمِنُونَ: سَتَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الخَاسِر وَمَنِ الفَائِز. . . أَكْمَلَ شُعَيْبٌ (عليه السلام) : يَا قَوم، هَا أَنَا ذَا قَدْ أَبْلَغْتُكُم رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُكُم، فَانْتَظِرُوا عِقَابَ الله.

ثَارَ الكَافِرُونَ وَهَاجُوا ، وَقَالُوا : أَتَتَوَعَّدنَا بِالعَذَابِ يَا شُعَيْب؟ فَهيَّا ، ائْتِنَا بِهِ إنْ كُنْتَ صَادِقًا.

أَجَابَهُم شُعَيْب (عليه السلام) : إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير.

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْه إلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: يَارَب، إنَّ قَوْمِي يُكَذِّبُونَنِي. اجْعَلْهُم يَا رَبّ يَعلَمُونَ أَنِّي صَادِقٌ، وَاسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ شُعَيْب (عليه السلام).

بَعَثَ اللهُ إلَى قَوْم مَدْيَنَ حَرًّا شَدِيدًا، وَمَنَعَ عَنْهُمُ الهَوَاءَ سَبْعَةَ أَيَّام، بَعْدَهَا أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِم سَحَابَةً، فَهَرَبُوا مِنْ بُيُوتِهِم نَحْوَهَا لِيَسْتَظِلُّوا بِظِلِّهَا، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَمِيعًا

تَحْتَهَا أَمْطَرَتْهُم بِالشَّرَرِ وَالنَّارِ، وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ جَاءَتْهُم صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ فَوْقِهِم وَزِلْزَالٌ عَظِيمٌ مِنْ تَحْتِهِم، فَمَاتُوا جَمِيعًا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوا مَا حَدَثَ لَهُم.

أَمَّا شُعَيْبٌ (عليه السلام) وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ غَادَرُوا المَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ العَذَابُ عَلَى الكَافِرِينَ، وَنَجَّى اللهُ شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيّ -رضى الله عنه- أَنَّ الرَّسُولَ (صلى الله عليه وسلم) ذَكَرَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، قَالَ فِيهِ: «... وَأَرْبَعَةٌ مِنَ العَرَبِ: هُود ، وَصَالِح ، وَشُعَيْب ، وَنَبِيُّكَ يَا أَبَا ذَرّ».

المركز العربى الحديث
103شارع الأهرام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com